الفصل السادس

الحركات

الحركات vowels هى القسم الرئيسى الثانى من الأصوات اللغوية . ويجدر بنا قبل الدخول فى أية تفصيلات أن ننبه إلى ما يلى :

١ ــ تختلف الحركات من لغة إلى أخرى اختلافاً كبيراً . وتستطيع أن تتأكد من ذلك حين تحاول المقارنة بين حركات اللغة العربية مثلا وحركات اللغة الإنجليزية . سوف يتبين لك حينئذ أن الحركات الأساسية فى اللغة العربية ثلاث فقط ، على حين أن الحركات الرئيسية فى اللغة الإنجليزية إحدى وعشرون حركة ، بل لا نعدو الحقيقة إذا قرَرنا أن حركات اللغة الواحدة تختلف فيما بينها من بيئة إلى أخرى . قارن مثلا حركات العربية الفصحى حين يتكلم بها عراقى بحركات هذه اللغة ذاتها حين ينطق بها مصرى . سوف نجد أن هناك فروقاً دقيقة بين هذه الحركات فى الحالتين ، وسر هذا الخلاف يرجع إلى تأثر كل منهما بعادات النطق المحلية ، أى إلى تأثره بحركات لهجته الخاصة .

٢ ــ الحركات أصعب من الأصوات الصامتة فى النطق إلى حد ملحوظ ، ويظهر ذلك بخاصة فى نطق حركات اللغات الأجنبية . ولنا ــ نحن المصريين ــ خبرة فى ذلك . فكل منا واجه يوماً ما بعض الصعوبات فى نطق حركات اللغة الإنجليزية أو بعضها . وليس من الخطأ فى شىء أن نقول إن بعض المثقفين ــ بل بعض المتخصصين فى اللغة الإنجليزية منا ــ لا يزالون عاجزين عن نطق حركات هذه اللغة نطقاً سليماً وبالطريقة التى تألفها آذان الإنجليز .

٣ ــ الخطأ فى نطق حركات اللغات الأجنبية عامل من عوامل سوء الفهم ، وذلك لاختلاط الأمر على السامعين حينئذ ، بسبب شدة الشبه والقرب بين بعض الحركات فى بعض اللغات الأجنبية . فأدنى انحراف فى نطق هذه الحركات إذن يؤدى إلى اللبس وعدم الفهم .

٤ ــ الخطأ فى نطق الحركات أوضح منه وأظهر فى نطق الأصوات الصامتة ، وذلك

راجع إلى طبيعة الحركات . فهى أوضح فى السمع وأقوى إذا قيست بالأصوات الصامتة . ومن ثم كان الخطأ فى الحركات يبدو نابياً فى الآذان غير مستساغ وغير مقبول .

لهذه الأسباب — ولأسباب علمية أخرى — اعتنى العلماء بالحركات فى الدراسات الصوتية عناية كبيرة . وذلك لكثرة المشكلات الصوتية التى تتعلق بالحركات إذا قيست بالأصوات الصامتة . وليس معنى هذا أن الأصوات الصامتة ليست لها صعوباتها ومشكلاتها : إنها هى الأخرى لا تخلو من صعوبات . ولكنها لا ترقى إلى الحركات فى هذا الشأن .

فالخلاف بين الأصوات الصامتة فى اللغات المختلفة قليل نسبياً . ويمكن التغلب عليه بالمران والخبرة . كما أن الخطأ فى نطق الأصوات الصامتة يمكن التغاضى عنه ؛ وقد يمر دون ملاحظة السامع . فالإنجليزى مثلا يستطيع أن يفهم العربى الذى يخطئ فى نطق الأصوات الصامتة ، ولكنه قد يجد صعوبة بالغة فى الفهم إذا كان الخطأ فى نطق الحركات[1] .

قد يقال إن وجود مدرس ناجح كفيل بالتغلب على مشكلات النطق بالحركات الأجنبية وبخاصة إذا كان هذا المدرس على علم بلغة المتعلمين ، إذ أنه — بطريق المقارنة بين حركات اللغتين — يستطيع أنه يوجه التلاميذ توجيهاً صحيحاً فى هذا الشأن . إننا لا ننكر أهمية المدرس الناجح الخبير بالدراسات الصوتية فى تعليم الحركات (وغيرها) ؛ ولكن الذى نخشاه هو أن التعليم — حتى فى هذه الحالة — سوف لا يكون دقيقاً إلى الحد المنشود ، وذلك لسببين ظاهرين :

الأول : قد يكون المدرس نفسه متأثراً فى نطقه لحركات اللغة التى يعلمها بألوان محلية بيئية ترجع إلى لهجته الخاصة ، أو لهجة قومه .

الثانى : من المؤكد أن التلاميذ أنفسهم يختلفون فيما بينهم فى نطق حركات لغتهم ، بسبب تأثرهم بعادات نطقية اكتسبوها من بيئاتهم الخاصة . والنتيجة الحتمية لذلك هى عدم الدقة ، لعدم وجود معيار أو مقياس ثابت يشار إليه أو يقاس عليه حين التعليم .

---

(١) انظر فى هذا المعنى (وغيره) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس .

الحركات المعيارية[١]

لذلك لم يكن بد من التفكير فى شىء يضمن نجاح تعليم نطق الحركات فى اللغات بأسرها لا بالمقارنة بين هذه اللغات فحسب ، بل بابتكار طريقة عامة من شأنها أن تضع حدوداً ثابتة ومقاييس معينة ، تجعل احتمال الخطأ ضيقاً إلى أقصى حد ممكن . وهذا هو ما حدث بالفعل ؛ إذ فكر جماعة من الرواد فى الدراسات الصوتية بابتكار مقاييس عامة لأصوات الحركات بطريق الاستنباط من اللغات المختلفة وبطريق النظر فى إمكانيات الجهاز النطقى من حيث النطق بالحركات . وبعد محاولات عدة وتجارب كثيرة توصلوا من ذلك إلى وضع ما سموه « بالنظام المعيارى » للحركات أو الحركات المعيارية Cardinal vowels . وهى حركات ليست مأخوذة من لغة معينة ، ولا يفترض وجودها فى لغة معينة كذلك . فربما يوجد بعضها فى بعض اللغات وقد لا يوجد البعض الآخر. فهى إذن حركات لا تنسب إلى أى لغة ، وإنما هى « معايير » أو « مقاييس » عامة ، تنسب إليها وتقاس عليها حركات ، أية لغة يراد دراستها أو تعلمها .

ومن أوائل من عنوا بالحركات المعيارية الأستاذ دانيال جونز الذى يرجع إليه الفضل الأول فى إنجاح هذا النظام وجعله يتخذ صفة العالمية فى الدراسات الصوتية . بدأ جونز عمله بأن نظر إلى عضوين مهمين كل الأهمية فى تكوين الحركات . وهذان العضوان هما الشفاه واللسان ، إذ هما العضوان الرئيسيان فى تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين خلال الفم . أما بالنسبة للسان فقد نظر إليه جونز باعتبارين اثنين هما :

١ — وضعه بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض .

٢ — الجزء المعين من اللسان الذى يحدث فيه الارتفاع والانخفاض . أما بالنسبة للشفتين فنظر إليهما من حيث :

١ — ضمهما .

٢ — وانفراجهما .

---

(١) اعتمدنا فى موضوع الحركات المعيارية على ما قرره دانيال جونز فى كتابه :
An Outline of English Phonetics

٣ – ومن حيث وضعهما فى وضع محايد . وبهاتين النظرتين توصل جونز إلى وضع ثمانى حركات معيارية ترسم كتابة بطريقة الكتابة الصوتية الدولية هكذا: (اقرأ من اليسار): [i e ɜ a ɑ c o u] ووجد أن هذه الحركات الثمانى لها صفات صوتية واضحة ومحددة تحديداً دقيقاً . ولكنه اكتشف أيضاً أن هناك حركات غامضة الصفة نوعاً ما وغير واضحة الحدود نسبيا ، إذا قيست بالحركات الثمانى المشار إليها سابقاً . أهم هذه الحركات الغامضة والمثال النموذجى لها ما يرمز إليه كتابة بالرمز [ɑ] وبذلك تكون الحركات المعيارية التى ارتضاها جونز تسع حركات .

وصف مختصر للحركات المعيارية :

الحركات المعيارية أخذت صفة الدولية فى عددها وطريقة كتابتها وترتيبها كذلك. والترتيب المعترف به دولياً الآن هو ما يلى : (اقرأ من اليمين) :

i (١) e (٢) ɜ (٣) ɑ (٤) a (٥) c (٦) o (٧)

u (٨)

المعيارية رقم (١) = i :

هى الصوت الذى يرتفع مقدم اللسان حال النطق به تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن ، مع بقاء هذا الصوت حركة ، أى بحيث إذا ارتفع اللسان أكثر من ذلك ضاق المجرى إلى درجة ينتج عنها حفيف مسموع ، وتكون النتيجة إصدار صوت آخر هو الياء وتكون الشفتان حال النطق بهذه الحركة منفرجتين .

المعيارية رقم (٥) = a :

هى الصوت الذى ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الطاقة ، ومع بقاء الصوت حركة أى بحيث إذا تأخر اللسان أبعد من ذلك كانت النتيجة هى ظهور صوت آخر ، هو نوع من الراء موجود فى بعض اللغات الأجنبية وتكون الشفتان فى نطق هذا الصوت غير مضمومتين .

أما الحركات رقم (٢) و(٣) و(٤) وهى [ege] فهى تكون مع الحركة رقم (١) مجموعة الحركات التى تسمى بالحركات الأمامية (نسبة إلى الجزء الأمامى من اللسان) .ويجب

أن نلاحظ ــ أنه حين الانتقال من الحركة رقم (١) إلى (٢) ثم من (٢) إلى (٣) ومنها إلى (٤) ــ أن هذا الجزء الأمامى من اللسان ينخفض تدريجيًّا بنسب متقاربة حتى يهبط إلى قاع الفم بحيث يكون مستويا أو يكاد . حال النطق بالحركة رقم (٤) .

والحركات رقم (٦) و(٧) و (٨) وهى [ɒɒɔ] تكون مع الحركة رقم (٥) مجموعة أخرى من الحركات تسمى الحركات الخلفية نسبة إلى الجزء الخلفى من اللسان . وفى حالة الانتقال من الحركة رقم (٥) إلى (٦) ثم من (٦) إلى (٧) ومنها إلى (٨) ، نلاحظ أن الجزء الخلفى من اللسان يرتفع تدريجيًّا تجاه الحنك الأقصى بنسب متقاربة بحيث يصل إلى درجة من الارتفاع تسمح بمرور الهواء من غير أن يحدث أى حفيف مسموع ، إذ لو ارتفع مؤخر اللسان أكثر من ذلك كانت النتيجة خروج صوت الواو .

أما الحركة المعيارية التاسعة: [e] فلا يرتفع اللسان معها من الخلف أو الأمام ارتفاعًا ملحوظًا ، كما لا ينخفض معها انخفاضًا كبيراً فى قاع الفم ، أى أن هذه الحركة لا تنسب إلى الجزء الأمامى أو الخلفى من اللسان ، وإنما إلى وسطه لأنه الجزء المرتفع نسبيًّا حال النطق بها.

وإليك رسمًا هندسيًّا يبين مواقع هذه الحركات وتدرجها من حيث الارتفاع والانخفاض (شكل رقم ١) :

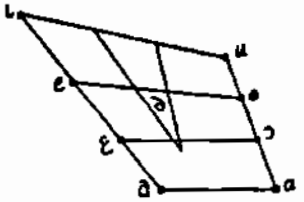

يبين هذا الشكل الأوضاع النسبية لأعلى جزء من اللسان حال النطق بالحركات المعينة ، وقد أشرنا إلى هذه الأجزاء بالنقاط الكبيرة كما ترى ، أما المنطقة الوسطى كلها فهى منطقة الحركات المركزية . وقد وجد بعض المعلمين أن الرسم المتقدم فيه صعوبة على الطلبة العاديين ومن ثم يفضلون الشكل التالى (شكل رقم ٢) :

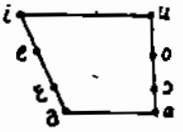

وفى هذا الشكل المبسط نجد أن الخطوط [i — u و e — o و ɛ — ɔ و a — ɑ] خطوط متوازية . وأن الزوايا التى تقع فيها (a و ɑ) زوايا قائمة وأن الخطوط (a — ɑ و ɑ — u و u — i) هى خطوط بنسبة ٢ إلى ٣ إلى ٤ ، بهذا الترتيب .

وقد قيست أصوات الحركات فى كل اللغات بهذه المقاييس ، ولا تزال تقاس مع استمرار الدراسة والبحث . أما القيمة الصوتية الدقيقة لهذه الحركات فلا يمكن التعرف عليها إلا بالنطق من معلم ناجح وبالاستماع إلى التسجيلات التى أخذت لها . ومع ذلك فقد انتخب الدارسون عدة كلمات من لغات متباينة اشتملت كل كلمة منها على إحدى هذه الحركات .

الحركة الأولى	i	—	ومثالها الكلمة	الفرنسية	si
الحركة الثانية	e	—	» »	الفرنسية	thé
الحركة الثالثة	ɛ	—	» »	الفرنسية	même
الحركة الرابعة	a	—	» »	الفرنسية	la
الحركة الخامسة	ɑ	—	» »	الفرنسية	pas
الحركة السادسة	ɔ	—	» »	الألمانية	sonne
الحركة السابعة	o	—	» »	الفرنسية	rose
الحركة الثامنة	u	—	» »	الألمانية	gut

على أنه يمكن تقريب القيم الصوتية لهذه الحركات لغير العارفين للفرنسية والألمانية بأمثلة إنجليزية بسيطة وأخرى عربية . الحركة رقم (١) تقرب منها أو تشبهها الحركة الإنجليزية فى نحو sit . كما أن هذه الحركة ذاتها تشبه الكسرة العربية المرققة (قصيرة أو طويلة) .

والحركة الثانية يمكن أن يمثل لها بالحركة فى الكلمة الإنجليزية get . وتكاد تقرب منها أو تسير فى اتجاهها الكسرة العربية المفخمة (قصيرة أو طويلة) . أما الحركة الثالثة فلها ما يشبهها فى اللغة العربية وهى الفتحة الممالة فى نحو مرساها ومجراها فى بعض القراءات إلخ . ويقرب من الحركة الرابعة الحركة الإنجليزية فى cat ، وتشبهها كذلك الفتحة العربية المرققة (طويلة أو قصيرة) . وأوضح مثال للحركة الخامسة فى اللغة الإنجليزية هى الحركة الأولى فى نحو Father ولكنها دائمًا طويلة . وفى اللغة العربية ما يقرب أو يشبه هذه الحركة الخامسة ، وهى الفتحة المفخمة . أما الحركة السادسة فتمثلها تقريبًا الحركة

الإنجليزية فى hot وأقرب حركة إليها فى اللغة العربية هى الضمة نحو صُم أو الضمة المفخمة. والحق أن الضمة المفخمة فى العربية أقرب إلى الحركة رقم (٧) وتقرب منها كذلك الحركة [o] فى November بالنطق الإنجليزى . وتقرب من الحركة الثامنة تلك الحركة الإنجليزية فى نحو put وهى تشبه الضمة العربية المرققة . أما الحركة رقم (٩) فأحسن مثال لها الحركة الأخيرة فى نحو singer إلخ .

تصنيف الحركات المعيارية

الحركات المعيارية يمكن تصنيفها إلى مجموعات من وجوه عدة . وسوف نقصر كلامنا هنا على ثلاثة تقسيمات فقط . أما أسس التصنيف أو التقسيم فهى :

(ا) يمكن أن تصنف الحركات بالنظر إلى ذلك الجزء من اللسان الذى يفرق غيره فى الارتفاع .

(ب) يمكن أن تصنف الحركات بالنظر إلى درجة العلو التى يرتفع إليها اللسان .

(حـ) بالنظر إلى أوضاع الشفتين .

التقسيم الأول : إذا أخذنا الأساس الأول من أسس التقسيمات أمكننا أن نحصل على ثلاث مجموعات من الحركات ، لكل منها خصائصها بالنسبة لهذا الأساس ، وهو « جزء اللسان الذى يفوق غيره فى الارتفاع » . هذه المجموعات الثلاث هى :

١ ــ **الحركات الأمامية** front vowels : وهى تلك الحركات الواقعة على الخط [i — a] (أى من الحركة الأولى حتى الرابعة) . فالحركات الأمامية إذن هى تلك الحركات التى يرتفع حال النطق بها الجزء الأمامى من اللسان تجاه مقدم الحنك أو الحنك الصلب .

٢ ــ **الحركات الخلفية** back vowels : وهى تلك الحركات الواقعة على الخط [a — u] (من الحركة الثامنة حتى الخامسة) فالحركات الخلفية إذن هى تلك الحركات التى تتكون عن طريق رفع الجزء الخلفى من اللسان تجاه الحنك اللين أو أقصى الحنك .

٣ ــ **أما النوع الثالث** : من هذا التقسيم فيشتمل على ما يسمى بالحركات الوسطى

أو المركزية central vowels . وهى الحركات التى تكون أعلى نقطة فى اللسان حين النطق بها هى وسطه . والمثال العام لهذه الحركات هو الصوت الذى يرمز إليه كتابة بالرمز[e] ويوجد بكثرة فى اللغة الإنجليزية . فهو موجود فى الحركة الأولى فى نحو about والحركة الأخيرة من كلمة تنتهى بالحرفين er أو or وتدل على الفاعلية كما فى نحو maker . eater demonstrator

التقسيم الثانى :

أما إذا أخذنا الأساس الثانى (وهو درجة العلو التى يرتفع إليها اللسان) فى الاعتبار فإننا سوف نحصل على أربع مجموعات للحركات المعيارية هى :

١ ــ الحركات الضيقة close vowels وهى الحركات التى يكون وضع اللسان حال النطق بها على الخط[u — i] (أى خط الحركتين رقم : ٨ ، ورقم ١) فالحركات الضيقة إذن هى تلك الحركات التى يرتفع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة فى منطقة الحركات .

٢ ــ **الحركات المتسعة أو المنتفخة** open vowels : وهى الحركات التى يكون وضع اللسان حال النطق بها على الخط [a — a] (أى رقم : ٤,٥) . فالحركات المتسعة أو المنفتحة إذن هى تلك الحركات التى يكون اللسان حال النطق بها منخفضًا فى قاع الفم إلى أقصى درجة .

٣ ــ **الحركات نصف الضيقة** half-close vowels : وهى الحركات التى يكون وضع اللسان حال النطق بها على الخط [o — e] (أى رقم : ٧و٢) . فالحركات نصف الضيقة إذن هى الحركات التى يقع اللسان حال النطق بها فى ثلث المسافة من الحركات الضيقة إلى المتسعة .

٤ ــ **الحركات نصف المتسعة** half-open vowels : وهى الحركات التى يكون وضع اللسان حال النطق بها على الخط [ɜ—ɔ] (أى رقم : ٦ و٣ فالحركات نصف المتسعة إذن هى تلك الحركات التى يقع اللسان حال النطق بها فى ثلثى المسافة من الحركات الضيقة إلى الحركات المتسعة .

التقسيم الثالث :

والحركات – بالرغم من أن خصائصها ومميزاتها الأصلية تعتمد على أوضاع اللسان – تتأثر إلى حد كبير بأوضاع الشفاة وأشكالها . فهذه الشفاة قد تكون منفرجة أو مضمومة أو محايدة (أى فى وضع ليس منفرجًا وليس مضمومًا) . والعادة أن الحركات التى تنطق مع انفراج الشفتين أو حين وضعهما فى وضع محايد تسمى الحركات غير المضمومة . ويمكن تمييز نوعين من انضمام الشفتين :

١ – انضمام شديد .

٢ – انضمام خفيف .

فالحركة رقم (١) [i] هى نموذج الحركات التى تنفرج معها الشفتان والحركة رقم (٥) [a] تتصف بوضع الشفتين فى وضع محايد حال النطق بها . والحركة رقم (٦) [c] تكون الشفتان معها مضمومتين ضمًّا خفيفًا . أما الحركة رقم (٨) [u] . فتنضم الشفتان حال النطق بها ضما شديداً[1] . وإليك شكلا يبين وضع الحركات المعيارية الثانى بالنسبة للتقسيمين الأولين فقط : (شكل رقم ٣) .

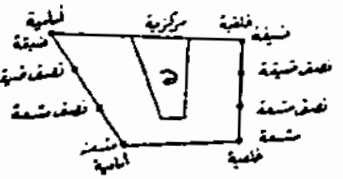

(١) قد لحظ هذه الخاصية منذ زمن بعيد أبو الأسود الدؤلى فى قصته المشهورة عندما كان يشكل القرآن بالنقط . إذ قال لكاتبه : « إذ رأيتنى فتحت شفتى فضع نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرت شفتى فضع نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت شفتى فضع نقطة بين يدى الحرف » . وكان هذا النص هو أساس تسمية الحركات العربية بالفتحة والكسرة والضمة .